السلطنة الفنجية الإسلامية

فى سودان وادى النيل

بقلم الشاطر بصيلى عبد الجليل

لقد جاءت هذه السلطنة إلى حوض النيل الأزرق بالسودان ، حيث اتخذت لها عاصمة من بلدة سنار التى تقع على مسافة مائة وسبعين ميلا جنوب الخرطوم . واستمرت فى إدارة شئونها حتى العام الأول من العشرينات من القرن التاسع عشر . وقد كانت هذه البلدة مقراً لنائب السلطان الفنجى ويرجع اختيارها إلى موقعها على ملتقى طرق ملاحية ومحطة للقوافل التى تسير إلى الحبشة ، وساحل البحر الأحمر كما تمتد أسفارها إلى داخل السودان .

ومن الواضح أن هذه السلطنة كانت تبسط سيطرتها على منطقتى النيل الأزرق والبطانة من عاصمتها جنوب غرب الأرتيريا حيث كانت تمارس سلطانها وكان السلطان يقوم برحلات شهرية إلى مختلف نواحى مملكته كما أشار إلى ذلك الرحالة داود روبينى(1) . ويبدو أن سبب انتقال هذه السلطة من مركزها الذى احتلته فى الأرتيريا منذ زمن طويل يرجع إلى حالة الحرب بين المسلمين والأحباش والتى نشبت

---

(1) Adler, Elkan, Jewish Travellers, Broadway, London 1931. See also Hillelson, S., David Reubini, An early Visitor to Sennar, Sudan Notes & Records Vol.XVI, p. 56—66.

لأسباب اقتصادية بحتة ، وقد انتقلت للعارك حتى اقتربت من الإقليم الذى تسيطر عليه السلطنة من الأرتيريا ، ولم يكن هناك بد من الإخلاء والهجرة نحو الغرب .

ومما يؤسف له أنه لم تصلنا وثائق تاريخية أو غيرها عن فترات حكم السلطنة تنطوى قيامها وتطورها ، ربما تكون هناك أشجار الأنساب ، وهذه عمليات روتينية يقوم بها الفقهاء . وقد وصلت إلينا مخطوطة طبقات ود ضيف الله ، التى كتبت فى أوائل القرن التاسع عشر ، وجاءت بعدها مخطوطة كاتب الشونة أحمد بن الحاج أبو على ، الذى كان فى خدمة الحكومة الجديدة فى الخرطوم وجاءت بعد هذه المخطوطة مخطوطتان لا يعرف كاتبهما . وقد وجدت أكثر من نسخة من هذه المخطوطات تختلف الواحدة عن الأخرى بالإضافة والتعديل والتبديل وهذه المخطوطات قد تم وضعها فى زمن غير بعيد حيث جمعت فيها الروايات المتداولة . ويجد الباحث أن المعلومات التى جاءت فى هذه الوثائق تتناقص كلما بعدت فترة الزمن ونجد أن ذكر السلاطين الأوائل لا يزيد عن الإسم وتاريخ اعتلاء العرش والنزول عنه .

وعلى الرغم من كل هذه الجهود فإن مشكلات تاريخية وغيرها ، قد بقيت تطرح نفسها ، أمام الباحثين ، وتشمل هذه المشكلات أصول البيت السلطانى ، وتطور هذه السلطنة فى مراحل انتقالها ، كذلك عن تنظيمات الحكم والعلاقات بين السلطنة والمشيخات المتحدة معها كونفدراليا عن طريق زعامة العبد اللاب أيضاً ما زالت العلاقات بين السلطنة والحاكم العثمانى على ساحل البحر الأحمر عدا ما أشار إليه الرحالة أوليا شلبى وهى كلمة مقتضبة لحد كبير لكنها تشير إلى وجود تلك العلاقات :

ويبدو أن كل هذه المشكلات ناجمة عن حقيقة هامة وهى ، التى تتصل بإغفال الأخذ بدراسة وصفية للمجتمع وذلك عند دراسة تاريخ السودان ، بوضعه فى دار الإسلام ولهذا يحتم علينا إجراء البحث بالكشف عن العلاقة بين أقاليم دار الإسلام فى

هذا الجانب من أفريقيا . وقد كانت أقاليم السودان تشغل مركزاً استراتيجياً له أهميته البالغة فى التجارة والقوافل والهجرات التى تمتد طرقها إلى مناطق بعيدة من داخل القارة ، ومن المعروف أن دار الإسلام تمتد من ساحل شرق أفريقيا وتمتد إلى الداخل حتى هضبة البحيرات وقد تمتد إلى الغرب وإلى الشمال وتحتل جانباً من الأراضى التى تتكون منها الحبشة الآن ويقدرها البعض أنها كانت تضم المنطقة الواقعة جنوب أديس أبابا .

وكما أشرنا أعلاه فإننا نجد أن موضوع أصول البيت السلطانى مادة النقاش والجدال فى الثلاثينات من هذا القرن وبصورة خاصة على صفحات مجلة السودان فى رسائل ومدونات التى تصدر بالإنكليزية فى الخرطوم وقد توقفت هذه المناقشات بسبب تقاعد الأطراف المعنية من خدمة إدارة السودان . وقد فشلت هذه المحاولات ووصلت إلى طريق مسدود وقدر لى أن أواصل البحث فى هذه المادة ، وقد توفر لى ذلك بعد أن عملت بمعهد الدراسات السودانية (الأفريقية فيما بعد) بجامعة القاهرة حيث أمضيت ستة عشر عاماً .

وعملت باهتمام فى مراجعة النشاطات السابقة . وكان هدفى أن أجمع المعلومات وأضعها للباحثين ، دون أن أسمح لنفسى بإبداء رأى أفرضــه ، لأن ذلك ليس فى قدرتى عمله . لأن عرض الحقائق التى أتحقق من صحتها لحد ما كافية لكشف عن الوضع . فلذلك لا أتحمل رأياً ولا أستطيع أن أعدل ذلك الرأى أو أتخلى عنه .

وقد كان على أن اتخذ منهجاً للبحث ، وبعد مقارنات متباينــة ، وجدت أن المشكلة لا تحل إلا بدراسة تنازلية وأن تمتــد تلك الدراسة إلى مناطق أقاليم دار الإسلام المختلفة ، وقد تكون إقامة ســلطنة فى جنوب غرب الأرتيريا كما شهدها

داود روبنى فى العشرينات من القرن السادس عشر الميلادى نقطة البداية بالمسيرة التنازلية . ووجدنا أن نقوش دار الفنج الموجودة على النحاس الذى نشره روبنسون(1) لها مغزى هام حيث يغطى الفترة السابقة لقيام السلطنة فى الأرتيريا ، وتعتبر هذه الفترة هى الجسر الذى يربط بين طرفى الشكلة .

وعلى هذا أخذنا بإعداد جدول مرحلى يبدأ من منتصف القرن السابع الميلادى على الوجه التالى .

المرحلة الأولى من عام ٦١٥/٦٥٠ إلى عام ٩٥٠ :

تسمية	أ	من ٦١٥/٦٦٠ إلى ٧٠٠ م
»	ب	من ٧٠١ إلى ٧٥١ سقوط الدولة الأموية
»	جـ	من ٧٥١ إلى ٨٠٠
»	د	من ٨٠١ إلى ٨٥٠
»	هـ	من ٨٥١ إلى ٩٠٠
»	و	من ٩٠١ إلى ٩٥٠

المرحلة الثانية من ٩٥١ إلى ١٢٥٠ :

قسيمة	أ	من ٩٥١ — ١٠٠٠
»	ب	من ١٠٠١ إلى ١٠٥٠
»	جـ	من ١٠٥١ إلى ١١٠٠
»	د	من ١١٠١ إلى ١١٥٠
»	هـ	من ١١٥١ إلى ١٢٠٠
»	و	من ١٢٠١ إلى ١٢٥٠ م

(1) A. E. R., The Fung Drum or nehas, Sudan Notes & Records Vol. IV P. 211—212.

المرحلة الثالثة من ١٢٥١ إلى ١٥٥٠ :

قسيمة	أ	من ١٢٥١ إلى ١٣٠٠
«	ب	من ١٣٠١ إلى ١٣٥٠
«	حـ	من ١٣٥١ إلى ١٤٠٠
«	د	من ١٤٠١ إلى ١٤٥٠
«	هـ	من ١٤٥١ إلى ١٥٠٠
«	و	من ١٥٠١ إلى ١٥٥٠

المرحلة الرابعة من ١٥٥١ إلى ١٨٢١ :

قسيمة	أ	من ١٥٥١ إلى ١٦٠٠
«	ب	من ١٦٠١ إلى ١٦٥٠
«	حـ	من ١٦٥١ إلى ١٧٠٠
«	د	من ١٧٠١ إلى ١٧٥٠
«	هـ	من ١٧٥١ إلى ١٨٠٠
«	و	من ١٨٠١ إلى ١٨٢١

وليس فى هذا التقسيم ما يشير إلى تكوين وحدات تاريخية غير مرتبطة بل بالعكس هى تصور تاريخى مستمر تضم أحداثاً مستمرة .

ووجدنا بعد القيام بالعملية التنازلية لجمع المعلومات المتوفرة ، أن ضرورة البحث تقتضى عرض الوقائع التاريخية وغيرها فى تناسق تاريخى . فإذا افترضنا أن السلطان عمارة وهو السلطان الفنجى الذى انتقل على يديه كرسى الحكم إلى سنار فى نهاية الخمسة والعشرين عاماً الأولى من القرن السادس عشر ووجدنا أن والده السلطان عدلان كان متولياً العرش قبله ، فأخذنا بأن السلطان عمارة قد تولى الحكم فى نهاية القرن الخامس عشر، وباحتمال ولاية والده السلطان فى النصف الثانى من القرن

الخامس عشر. وافترضنا عشرين عاماً لحكم السلاطين قبل ذلك، خلال الفترة بين عمارة وجده الكبير، نستطيع أن نقول أن الجد الكبير قد جاء من لولو في أول القرن الرابع عشر أو آخر الثالث عشر.

وهذا التاريخ يتفق اتفاقا تاما مع الحقيقة التي تسندها المصادر التاريخية أن السلطنة قد امتدت سيطرتها على اقليمي البطانة والنيل الأزرق وذلك على أثر خروج ملك علوه المسيحي في هجرته إلى الغرب حيث أخذ من بلدة «كوشة الواغلة» وقد بقي هنالك بعض الوقت ولا يعلم مصيره. ويعتقد أنه قد استمر في سفرته نحو الغرب، ويحتمل وصوله إلى الأقليم المعروف الآن بسيراليون حيث توجد هنالك جالية من المهجرين من اقليم الجزيرة السودانية وهم الكسو Kasu ويعرفون الآن بالكسي Kissi [٨٢]، ويجدر بالباحثين الاهتمام بهذه الهجرات وهي التي قام بها:-

(أولا) هجرة ملك مرو (في القرن الثالث الميلادي).

(ثانياً) هجرة قبائل العجون من البطانة إلى الغرب (في القرن الرابع الميلادي).

(ثالثا) هجرة ملك علوة إلى كردفان والغرب في القرن الثالث عشر.

(رابعاً) هجرة قبائل سودانية في مقدمتها الكسو Kasu من الجزيرة إلى الغرب وتحديد تواريخها.



(١) نشر الدكتور إبر إلبر Eber Elber النمسوي مقالا عن مشاهداته في سيراليون وأشار إلى هذه المجموعة السودانية الـ Kissi ولم يشر بطبيعة الحال إلى الوطن الأول لهذه القبيلة - وقد حققنا ما جاء في مقاله ومقارنته مع ما ذكره بن سليم الأسواني. وقد اتصل به المؤلف فعلم أنه قد كتب عددا من المقالات في دوريات الدول الاسكندينافية والدكتور إلبر هو طبيب تشريح كان يعمل في غرب أفريقيا في دراسة التطور بين القردة. وقد توفي في الأربعينات.

ويجدر بنا قبل اعطاء صورة عن تطور الهجرات الفنجية في الفترة من منتصف القرن السابع حتى القرن الثالث عشر، أن نوضح بعض المصطلحات الخاصة بالفنج. فلفظ الفنج الذي يطلق على هذه السلطنة، نجد أن صورته الصوتية بكسر الفاء وسكون النون وفتح الجيم (فِنْجَ) وهو اللفظ الذي ينطق به في الوطن الأول القبيلة التي تسكن وادي فميل في عمان، ولفظ «دونقس» وهو لفظ أثيوبي يتكون من دو وهي في الأصل Djan ومعناها عظيم أو كبير. ولفظ نقس Neqs ومعناها النجاشي، ومعنى هذه الكلمة في مجموعها النجاشي الكبير.

وفي اتخاذ هذا هذا اللقب ما يشير ضمنياً إلى سابق علاقة بين الفنج والحبشة، ولفظ مك وهو اللفظ المحلي في السودان الذي يطلق على مستوى معين من الزعامات وهو يعني السلطان أو الملك، وأصل هذا اللقب يرجع إلى شرق افريقيا حيث يستخدم كلقب للزعيم وبخاصة في الصورة الصوتية فيقاو Maku أو Mku أما جماعة الهمج وصحتها الهامق والهمج نقل عن المصادر الاجنبية ومعناه التوحش أو البدائي، ولفظ الهامق مازالت تعرف به جماعات في بربر ودنقلة.

وهنالك أيضا جماعة الأونساب، وتأتي هذه المجموعة في الرتبة الثانية بعد بيت الفنج حيث تحتم التقاليد والعادات في السلطنة أن تكون زوجة السلطان المنتخب من هذه الجماعة وأن هذه الزوجة لابد لها من مشاركة زوجها في خلوته التي يجب أن يمر بها قبل ولايته للحكم. وهذه فيما يبدو لنا نقطة هامة جديرة بالبحث لأنها فيما يبدو قد ورثتها السلطنة في ظروف محلية في موطنها الجديد أي في الارتيريا ولاشك كان في ذلك النصيب الأكبر للمصاهرة التي جعلت من الاونساب وهم خؤولة السلطان حتماً له، وتأتي بعد هؤلاء الهامق (الذين يعرفون في كتب المؤرخين بالهمج) وقد كان وزراء السلطنة من هذا البيت أي بيت الهامق، ويعرف الانساب أيضا

ببيت عين الشمس ، ولا شك فى أن ضرورة الاعتكاف للسلطان المنتخب وزوجته من عين شمس تقليد مأخوذ عن مصر القديمة .

وننتقل الآن إلى قضية الفنج ومراحل تطور حكمهم منذ القرن السابع الميلادى ؛ أى أن يعود البحث إلى السير فى ترتيبه التاريخى بعد أن تمت عملية البحث التنازلى وتركز اهتمامنا فى هذا البحث بمرحلة دخول الفنج إلى أفريقيا وتطورهم قبل القرن الرابع عشر .

هاجرت جماعة من إقليم عمان مع مجموعات أخرى من العرب إلى ساحل شرقى أفريقيا ، وذلك بعد ظهور الدعوة إلى الإسلام ، طلبا للرزق . وقد ورد ذكر هذه الجماعات فى مخطوطة تعرف بكتاب الزنوج نشرها تشيرولى فى كتابه صوماليا(١). فقد ورد فى المخطوطة (صفحة ٢٣٦) « وكان أهلها من طيوى وفنج . فمن فنج التى بعمان وواسين عربية أصلية ، وواسين اعنى حزن هو معناه ، لأن أهل فنج كانوا يحيسون الناس هنالك . . . . وكانوا يجيئون بالسفائن وللواشى غالبهم وبالبر ، كانوا يجيئون لأجل الحرب من سواكن وبربره ... » والمقصود بالحرب هنا ممارسة القرصنة فى الجانب الأفريقى – خليج عدن والبحر الأحمر . وتغير الموقف بعد وصوله قوات الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، الذى تولى الخلافة (من عام ٦٦٤/٧٠٥م) ، الى ساحل الزنج حيث اتخذت قاعدة لها فى جزيرة لامو .

---

(1) Cerulli, Enrics, Somalia. Vol. I., Roma 1957, Page 233/251 and Itabai Transtalion p. 253/325.

(2) Shaibu Faraji Bén Hamed al Bakariy al Lamuy : Khabar al Lamu, a Chronichle of Lamu, transtiterated and Transtated from the Surahili script and annoted of William Hichens, in Banu Studies Journal vol. I deel XII Maeh 1938 p. 8 ff.

وقد كان اهتمام الامويين بعد نزولهم إلى ارخبيل اللامو ، موجهـا إلى النشاط التجاري ، فأنشاوا عددا كبيرا من الموانى التجارية على الساحل الافريقى الشرقى ، وشجعوا التجارة بين الشاطئ وداخل القارة(1) ويبدو أنه قد حدث فى فترة سيطرة الامويين ، على ساحل شرق إفريقيا من مركز رياستهم فى اللامو ، قد حدث مصاهرة بين جماعة فنج والامويين فى اللامو ، وقد يؤيد ذلك ما جاء فى مخطوطة كاتب الشونة (نسخة القاهرة) حيث يقول « ما جاء فى ذكر نسب الفنج قيل أنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وهربتهم (كذا) بنو العباس جاء منهم رجلان إلى هـذا المحل وأستولدوا النساء وأن الفنج من نسلهم وقيل غير ذلك » . (٢) أما القول بأن الأمويين قد دخلوا إلى السودان بعد سقوط دولتهم عن طـريق الشمال ، وجاء فى فى هذه الرواية أن ابنى مروان بن محمد ، آخر الامويين وهما عبد الله وعبيد الله هربا فى نحو الفين من اتباعهما لبلاد النوبة سنة ٧٥٠م ، ولم يسمح لهما ملك النوبة بالبقاء فى بلاده بعد أن دار بينهما وبين النوبة نقـاش حاد . وتقول الرواية انهما عادا إلى الحجاز عن طريق باضع ... غـير أن هذه الرواية من نسج الخيـال لأنه لا يوجد ما يدعمها .

وقد جاء الوقت الذى يتحتم علينا فيه العمل على تنقية التاريخ القومى من هذه الاساطير . وعلى أى فقـد بقى الفنج فى اللامو مع الامويين حتى نهاية دولتهم فى عام ٧٥٠ م . ولم تتوفر لدينا أية معلومات مسيرة الاحداث بين نهاية دولة الامويين حتى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر . وقل ما هنـالك الذى نستطيع أن نفترض بصحته أو الاخذ به وهو نقوش نقارة الدار الفنجية التى نقش عليها .

---

(1) Stigand, C.H., the Land of Zing, London 1913 p. 113 ff, See also Prins, A.H.J. the Coastal Tribes of the North Eastern Banta London 1952.

(٢) مخطوطة كاتب الشونة — لأحمد بن الحاج أبو على تحقيق الشاطر بصيلى عبـد الجليل القاهرة ١٩٦١ ص ٤ .

نقارة الدار نقارة السلطان
عمارة بن السلطان عدلان
جدهم الكبير الجاه (1) من أول
نصره الله السلطان بادي من السلطان نول (2)

وقد حدثت تغييرات هامة بعد نهاية الدولة الأموية وقيام العباسيين فقد اشتدت التجارة في الدواخل ، واتسعت رقعة النشاط الاقتصادى في مختلف بقاع القارة الأفريقية حيث دخل المغامرون من العرب إلى داخل القارة وعملوا في التجارة والمدن واسسوا المدن في النقاط الاستراتيجية . وجاءت أيضا جماعات من النبهائيين والزروعيين وأسسوا بيوتا تجارية أو بعض أدق نقابات . وأسسوا المدن والموانى وأدخلوا تعديلات كبيرة على المجتمع . وعملوا على نشر الاسلام ، الأمر الذى أوكل إلى الفقهاء بطرق ميسرة وأنشأوا دور التعليم والمزارع لتعليم السكان المحليين الاخذ بهما وأدخال الزراعات الجديدة .

ويهمنا التعرف على مسيرة الفنج من موطنهم في اللامو بعد سقط الدولة الأموية وقد أرتبطوا بها أرتباطا وثيقا . فهناك احتمال أو افتراض خروجهم من اللامو إلى الشمال عن طريق البحر . وعلى هذا فقد اخذنا بتقسيم الزمن فترات قد تبلغ الثلاثة قرون من الزمان . وتستطيع أن نتعقب هذه الرحلة بالبحث عن مختلف المسالك . فيحتمل أنهم قد تنقلوا عبر البلاد الشمالية أى الصومال واقليم سلطنات الطراز الإسلامى . ويحتمل أيضا أنهم قد انتقلوا عن طريق البحر الأحمر إلى أحد ميناءين في الحبشه والارتيريا

(1) الجاه = الذى جاء .

(2) A.E.R. the Fung Drum or Nehas, Sudan Notes & Records vol. IV p. 211—212.

أولها ميناء عـدى والثانيه ميناء مدر ويبنى هـذا الافتراض على وجـود مقابر صندوقية (١) كثيرة العـدد وهى المقابر التى اعتاد أن يستخدمها الفنج لدفن موتاهم من السلاطين ومن فى درجتهم . وتمتـد هـذه المقابر الصندوقية حتى خور بركة فى الارتيريا .

وتواجه الباحث أيضاً مشـكلات تطرح نفسهـا لتحديد العلاقة بين السلطنات المحلية التى كانت قائمة وبين الفنج أو الفنج قبل تـكوين سلطنهم فقد كانت هناك سلطنة الهجون التى حكمت لفترة طويله وامتدت سيطرتها حتى عيناب فى الشمال . ونعلم أنها كانت محـكومة بسلاطين من النساء منها الملـكة صديقه ، وتعلم أيضا أخت الملك مكنز السماة قميوه دركت الوصاية على ابنه . .

ولا شك فى أن البحث عن هذه السلطنة الفنجية فى مرحلة تـكوينها موضوع له أهميته البالغة فهى أيضاً تـكشف عن نشاطات العرب والمسلمين فى هـذه الجهة من أفريقيا .

---

(1) Kammerer, A., La mer Rouge, L'abyssinie et l'arabie aux XVII Seconde Partie XVII p. 315, p. 300—36.

مراجع البحث ومصادره

ابن بطوطه : رحلة

المسعودى : مروج الذهب

كتاب الزنوج بكتاب صوماليا لمؤلفة تشرولى طبع روما الجزء الأول

أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطه كانت الشونه تحقيق الشاطر بصيلى عن اكليل القاهره سنة ١٥٦١

Arkell, A.J., Cambay and Bead Trade : Antiquity X, 1936.

Axelson, E., South East Africa, 1940.

Badger, E., Historv of the Immams and Seyyids of Oman, 1871.

Freeman–Grenville, G.S.P., The Medieval History of the Coast of Tanganyika, 1962.

Kamerer, A., Le Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie, Caire.

Prinns, A.H.J., The Coastal Tribes of the North Eastern Bantu, 1952.

Sergeant, R.B., The Portuguese off the South Arabian Coast, 1963.

Shaibu Faraji bin Hamed Al Bakariy al Lamy, Khabar al Lamu, translation by Hichens, Bantu Studies Journal, XII, No. I, 1938.

Stigand, C.H., The Land of Zing, 1933.

Strandes, J. The Portuguese Period in East Africa.